مكانة المرأة في العلوم الشرعية (العراق والشام) أنموذجا خلال القرنيين السادس والسابع الهجريين

The status of women in the legal sciences (Iraq and the Levant) as a model during the sixth and seventh centuries A.H.

رنين محمود احمد
مدرس مساعد
جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الانسانية – تاريخ اسلامي

Raneen M. Ahmed
Assistant Lecturer
University of Mosul - College of Education for Human sciences- Islamic history

raneen.alaalem@uomosul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: المرأة، النساء، العراق، الشام، محدثات

Keywords: women, women of Iraq, the Levant, narrators

الملخص

إن المتتبع لدور المرأة في التاريخ الإسلامي يجد هناك العديد من النساء اللاتي كان لهن أدوارا واسهامات بارزة في مختلف مجالات العلوم الشرعية مما كان لها أثرا في الرقي والتقدم العلمي والحضاري، حيث برزت مجموعة من النساء كان لابد من إظهار دورهن في رعاية العلوم الشرعية .

وتناولت الدراسة ايضاح دور ومكانة المرأة في العلوم الشرعية من حيث التعلم والتعليم . ومن خلال بحثنا هذا وجدنا بأن للمرأة كان لها نصيب في تناول العلوم الشرعية والعمل بها في العراق والشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين .

Abstract

Anyone who follows the role of women in Islamic history will find that there are many women who had prominent roles and contributions in various Sharia sciences, which had an impact on advancement and scientific and cultural progress. A group of women emerged whose role in caring for the Sharia sciences had to be demonstrated.

The study dealt with clarifying the role and status of women in the Islamic sciences in terms of learning and teaching. Through our research, we found that women had a share in studying and working in Sharia sciences in Iraq and the Levant during the sixth and seventh centuries.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى أله وصحبه أجمعين .

تعارف الباحثون عند الحديث عن تاريخ العلوم عند المسلمين أن يطلقوا تسمية العلوم الدينية على العلوم التي تعني أساسًا بدراسة الأمور الشرعية وتتعلق بالدرجة الأولى بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما يتصل بهما من علوم مستنبطة منها كعلم القراءات وعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه، والجدير بالذكر أن هذه العلوم هي علوم إسلامية أصلية اختص بها المسلمون فقط، فضلاً عن مساهمة النساء في تلك العلوم ولاسيما بعد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، في حين كانت جهود النساء تتركز بعلم الحديث ومن ثم علوم القرآن، أما بما يخص اللغة والنحو والشعر فلم يكن نشاطهن بمستوى نشاطهن في علوم القرآن والحديث.

ولقد انصب اهتمام المرأة المتعلمة في العراق والشام في القرن السادس والسابع الهجري بالعلوم الشرعية، وهي علم الحديث بعد حفظ القرآن الكريم وعلوم القرآن، ومعرفة الفقه والأحكام، لأن علم الحديث يأتي في الدرجة الثالثة بين العلوم الشرعية فوجدت المرأة المحدثة والفقيهة وقارئة القرآن (العزايزة، ٢٠٠٤: ١٢٦) لذا كانت من أولويات تعليم المرأة تعليمها أمور دينها الأساسية لكي تستفاد منها في حياتها وتكون على معرفة ودراية بأمور حياتها.

حيث تم اختيار البحث لتسليط الضوء على هذه النخبة المميزة من النساء ونشاطهن في مجال العلوم الشرعية وأثرهن في المجتمع لاسيما بعد أن أغفلت العديد من الدراسات التاريخية الحديثة دور النساء في العلوم الشرعية لاسيما الأقاليم والحواضر الإسلامية وبفترات محددة، في حواضر العراق والشام والتي نشأ فيها كيانات سياسية كالخلافة العباسية وما يجاورها من دول، فضلاً عن معاصرة مدة البحث لهجمات خارجية متمثلة في الحروب الصليبية والاجتياح المغولي، ورغم ما سبق نجد أن الحياة في مجال العلوم الشرعية بخصوصيتها النسوية كان لها أثر مهم في الحضارة الإسلامية .

ومن خلال البحث وجدنا بأن للمرأة كان لها نصيب في تناول العلوم الشرعية والعمل بها في العراق والشام خلال القرنيين السادس والسابع الهجريين، ومن أهم العلوم الشرعية التي

سوف يتناولها البحث هي : القرآن الكريم، الحديث، الفقه . حيث كان لهن أثر مهم في ذلك من خلال مساهمتهن في المجتمع الإسلامي .

وقد بُني البحث على مقدمة ومتن البحث قسم الى ثلاثة مطالب ثم الخاتمة واخيراً قائمة لمصادر ومراجع البحث .

نسأل الله ان نكون قد وفقنا في عملنا هذا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المطلب الأول: دور المرأة في تعلم وتعليم القرآن الكريم .

عرف علم القراءات بأنه:" علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة " (خليفة، ١٣٥١ :ج٢/٢١٩)، أي إن هذا العلم يتعلق بطريقة النطق لألفاظ القرآن الكريم، مع تعدد الطرق، واختلاف الوجوه في الأداء المنقول حصرا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ويهدف علم القراءة إلى الحرص على كلام الله تعالى، والنطق به على الكيفية الصحيحة الكاملة كما أنزل، وصون اللسان عن الخطأ فيه، والاحتراز عن التحريف أو التبديل أو التغيير في القرآن الكريم صورة بالرسم، ونطقا باللسان، وكتابة بالخط.

ويهدف علم القراءة إلى الحرص على كلام الله تعالى، والنطق به على الكيفية الصحيحة الكاملة كما أنزل، وصون اللسان عن الخطأ فيه، والاحتراز عن التحريف أو التبديل أو التغيير في القرآن الكريم صورة بالرسم، ونطقا باللسان، وكتابة بالخط .

ونشأ علم القراءة أصلا منذ اللحظات الأولى لنزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل الأمين عليه السلام، الذي نزل بكلام الله تعالى، وتلاه على رسول الله، وحدد له لفظه، وكيفية تلاوته، ثم الرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة كما نزل، فحفظوه في الصدور، وكتبوه في الصحف عن طريق كتاب الوحي، كما نزل، وتلوه في الصلاة وفي البيوت، ونقلوه إلى أولادهم وأصحابهم، ثم إلى التابعين، كما نزل وكما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم (الزحيلي، ١٤٢٠:٢٦٧)

وقد توالى اهتمام النساء المسلمات بالعناية بكتاب الله عز وجل واتخذت هذه العناية صورًا وأشكالاً تدل في مجملها على تعلق النساء بكتاب الله عز وجل والرغبة في حفظه وتحفيظه وبذل الغالي والنفيس من أجل ذلك كإنفاقهن على قراءة القرآن وحفظه واحتضان النساء لتحفيظهن القرآن (يوسف، ١٤١٤:١٥) ولقد قرأت النساء القرآن وتلا بعضهن بالقراءات السبعة (عبد الهادي، ١٩٦٢:٣٥) وبغض النظر عن مسألة الخلاف الفقهي بما يخص قرأت المرأة القرآن بصوت جهوري أمام العامة وجواز ذلك من عدمه فإن ذلك لا يدخل في مجال بحثنا بقدر ما يهمنا هو جهود النساء في تعليم القراءات ودورهن في نقل هذا العلم لطلبتهن من الذكور والإناث في حين نجد أنه كان الأهالي يحرصون على تعليم بناتهن وتحفيظهن القرآن الكريم خاصة نساء الأسر العلمية أو بنات الشيوخ والمحدثين حيث أكثر النساء التي تم إحصاؤهن في غالبيتهن من أسر علمية. ولكن وعلى الرغم من ذلك نرى بأن عددهن في علم القراءات قليل نسبيًا مقارنة مع باقي العلوم الدينية الأخرى.

ويذكر محمد خير يوسف أن سبب ذلك فيقول: ((أن السبب في التقليل من إيراد أخبار القارئات والمقرئات والحافظات بشكل عام هو أن مبنى النساء على التستر والتعفف وعدم الاختلاط وسماعهن وتعليمهن كان في حدود وشروط وضعها الإسلام)) (١٤١٣:٢٠)

لهذا نرى بأن أعدادهن قليلة مقارنة مع علوم الحديث وباقي العلوم حيث اشتهرت الكثير من النساء بعلم الحديث وبرزن به وذلك لأن الحديث كما يقول محمد خير يوسف ((مبني على الرواية والسماع والإجازة)) (٢٠:١٤١٣)

ولقد اقترنت أسماء كثير من نبغن بالقرآن الكريم باشتغالهن بعلوم أخرى قد يكون الحديث أو الفقه لذلك سوف يلاحظ أن عدد من الأسماء سوف تتكرر في كل من علم الحديث والفقه وأيضًا أكثر من اشتهرن من النساء كن من أسر علمية فقد حرص أهاليهم على تحفيظهن القرآن أو كان بعض منهن ذات سلطة وجاه في الدولة كزمرد خاتون التي سيتم الحديث عنها لاحقًا.

ويلاحظ أيضاً أن تراجم هؤلاء النسوة قصيرة نسبيًا أو لا تعطينا معلومات كافية يمكن استنتاج منها صورة معينة لنشاط، إذ اقتصرت على ذكرها بأنها ((حافظة لكتاب الله)) أو ((قارئة للقرآن)) إذ لم يشر المؤرخون أي نوع من القراءات سواء قراءة عاصم أو قراءة الكسائي أو قراءة ابن كثير أو القراءة المكية أو الشامية. وكذلك كانت التراجم تخلو من ذكر الأماكن التي حفظت بها النساء القرآن فقط معلومات بسيطة سواء في الشام أو العراق أو يقتصر الكلام بأنها بسفح قاسيون أو أي جهة أخرى دون تحديد المكان والزمان.

ومن خلال إحصائنا لتراجم عدد من النساء تم جمعهن على حسب المشتركات فيما بينهن فقد كان بعضهن قارئات للقرآن وتفتقر تراجمهن إلى ذكر نوع القراءة التي كانت تقرأ بها وأيضًا لا يذكر لنا في أي مكان أو في أي وقت بدأت تقرأ.

ولعل من أبرز النساء اللواتي لمحت بذكرهم كتب التراجم دون تفاصيل مهمة وبعض النساء برزن في القرن السادس والسابع الهجري في العراق والشام ومنهم:

خديجة بنت القيم البغدادية. فقد كانت قارئة للقرآن الكريم قرأ عليها خلق تجويد القرآن وغيره وإلى جانب القرآن والفقه نبغت في علم آخر وهو علم اللغة العربية فيذكر ابن العماد:((قرأت غير مقدمة في النحو وجودة الخط على جماعة)) (١٩٨٦:ج٧/٧٨١)،ولقد أسمعها والدها الكثير وعلمها الخط والقرآن والوعظ لما رأى نجابتها (اليافعي، د.ت:ج٤/١٧٣) ولقد كانت خديجة بنت القيم بغدادية الأصل. وتوفيت سنة (٦٩٩ هـ/١٢٩٩م) (الصفدي، ١٩٨٦:ج٣/٣٩٨؛ الذهبي، ١٩٥٨:ج٣/٣٩٨؛ ابن العماد، ١٩٨٦:ج٦/ ٢٨؛ كحالة، ٢٠١١:ج١/٢٥٢)

أما في بلاد الشام فقد ظهرت لنا بعض القارئات ومنهم. وخديجة بنت الحسن بن علي بن عبد العزيز القرشية الدمشقية .وهي أم البقاء من بلاد الشام فقد كانت من الحافظات المتفقهات حفظت القرآن وأتقنت تجويد وقراءته وقد توفيت سنة (٦٤١ هـ/١٢٤٣م) (الصفدي، ١٩٨٦:ج١٣/١٨٣؛ كحالة، ٢٠١١: ج٣ / ١٥٣)

وأيضا أسماء بنت عماد الدين محمد بن سالم بن الحافظ أبي المواهب ابن صصري .وهي من اللاتي كن يقرأن في المصحف فلقد ذكرها ٣ بأنها ((كانت تقرأ في المصحف)) (الصفدي، ١٩٨٦: ج٩/ ٣٦ – ٣٧)، وتوفيت سنة (٧٣٣ هـ/١٣٣٢م) (الذهبي، ١٩٩٠: ١٥٠؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج٩/ ٣٦ – ٣٧؛ العاملي، ١٣١٢: ٤٠)

وبرزت مجموعة أخرى من النساء كن يلقن النساء ويحفظونهم القرآن الكريم ويعلمهن أصول دينهن منهن في العراق كانت فاطمة بنت علي بن المظفر بن الحسن بن زغبل البغدادي .وهي من أهل بغداد حيث برزت مع وتوفيت عام (٥٣٢ هـ/١١٣٧م) ولقد عاشت سبعًا وسبعين سنة (الذهبي، ٢٠٠٣: مج ١١ /٥٧٦) فقد كانت امراة صالحة من أهل القرآن تعلم الجواري القرآن وذكر الذهبي في العبر بأنها ((كانت تلقن النساء)) (١٩٥٨: ج٢/٤٤٣) وهذا يعني أنها اختصت بهن دون طلاب العلم من الذكور.

أما في بلاد الشام فكانت أم محمد، رابعة ابنة الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن محمد بن ورابعة، فقد كانت حافظة للقرآن الكريم تعلم النساء (المنذري، ١٩٨٤: ج٣٨/ ١٠٩ – ١١٠) ولقد كانت تعطي إجازات لكبار العلماء منهم المنذري فيقول ((لنا إجازة منها كتبتها إلينا من دمشق)) (١٩٨٤: ج٣٨/ ١٠٩ – ١١٠) وعلى الأغلب أنهم كانوا يعلمون ويحفظون النساء في بيوتهم أو في بعض مجالس الوعظ الخاصة بالنساء. وتوفيت سنة (٦٢٠ هـ/١٢٢٣م) (الذهبي، ٢٠٠٣: ج١٣/٩٤ – ٩٥؛ ١٩٨٤: ج٢٠/ ١٣٠) .

وآسية بنت أحمد المقدسي. وهي من اللاتي حفظن كتاب الله وتكنى أم عبد الله فلقد كانت امراة صالحة حافظة للقرآن العزيز وكانت تلقن النساء الدين وبيتها ((معمور بكثرة التلاوة)) والدراسة (البرزالي، ١٤٢٧: ج١/ق٢/١٤١ – ١٤٢) .

ولعل مثل هذه الإشارة أنها كانت تلقن النساء في بيتها تدل على أن التعليم البيتي هو الأساس في جهود النساء العلمية، وأن الأمر لا يتعدى سياق الجهود الفردية المحددة، ولعل كل ذلك من دون شك يخضع لمعايير ما تعارف عليه الناس من ضوابط الشرع، لكن يبقى أمامنا تساؤلات حول جهود تلك النسوة اللواتي يأخذ الطلبة منهن العلم في بيوتهن، وهي هل هذه الدروس منظمة بوقت معين أم بحجم مادة تدريسية معينة وما نوع طلبة العلم هل كلهم إناث أم فيهم الذكور ولعل ما ورد عند البرزالي يشير إلى أن الذكور أيضاً يتلقون من بعض النساء، فقد ورد أن أم عبد الله آسية بنت أحمد المقدسي المذكورة آنفًا كان قد سمع منها البرزالي.

ولقد حصلت على الإجازات من طائفة كبيرة منهم أسعد بن روح وداود بن الفاخر وغيرهم من بلاد العجم ومن بغداد أبو أحمد بن سكينة وعبد العزيز بن الأخضر وتوفيت أم

عبدالله سنة (٦٨٧ هـ/١٢٨٨م) ودفنت بسفح قاسيون عند تربة والدها الشيخ أبي عمر (البرزالي، ١٤٢٧: ج١/ق٢/ ٥٠).

وهنالك بعض من النساء كن ذات سلطة وجاه ومركز في الدولة آنذاك منهن زمرد بنت جاولي (بدوي، ١٩٩٨: ١٨٩؛ الزركلي، ١٩٨٠: ج٣/٤٩؛ الذهبي، ٢٠٠٣: مج١٢/ ١٢٤ - ١٢٥؛ الذهبي، ١٩٨٥: ج٢/ ٤٤٣؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣: ج٢٢/ ٢٧ - ٢٨؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج١٤/ ١٤٣؛ ابو شامة، ٢٠٠٢: ج١/١٦٠؛ عساكر، ١٩٨٢: ١١٢؛ ابن كثير، ٢٠٠٥: ج١٢/ ٢٦٩؛ النعيمي، ، ١٩٩٠: ج١/ ٣٨٤ - ٣٨٥) ولقد سمعت الحديث واستنسخت الكتب وقرأت القرآن وحفظته على أبي محمد بن وطاس وأبي بكر القرطبي (بدوي، ١٩٩٨: ١٣١ - ١٣٢؛ الذهبي، ٢٠٠٣: مج١٢/ ١٢٤ - ١٢٥؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج١٤/ ١٤٣؛ ابن كثير، ٢٠٠٥: ج١٤/٧٤؛ كحالة، ٢٠١١: ج١/٢٤٠؛ النعيمي، ١٩٩٠: ج١/ ٣٨٤ - ٣٨٥) وهي من بعض النساء كن ذات سلطة وجاه ومركز في الدولة آنذاك ولقد كانت ذات مكانة في أتابكية دمشق بصفتها أخت الملك الدقاق صاحب دمشق لأمه وزوجة الملك بوري تاج الملوك وأم الملك إسماعيل شمس الملوك ومحمود ابن بوري (بدوي، ١٩٩٨: ٤٣٤؛ الذهبي، ٢٠٠٣: مج١٢/ ١٢٤ - ١٢٥؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج٣:١٨٢؛ ابو شامة، ٢٠٠٢: ج١/١٦٠) وتوفيت سنة (٥٥٧ هـ/١١٦١م) ودفنت بالبقيع (الحموي، ١٩٩٣: مج١/ ٤٧٣)

ومن المعروف أن الفقه مادته تتعلق بالقرآن الكريم لذا جمعت بعض النساء بينهن حيث كن يحفظن القرآن ويتلونه ويتفقهن في الدين وأيضًا منهن من جمعن بين القرآن والفقه والحديث نذكر منهن فاطمة الفقيهة ابنة علاء الدين أحمد السمرقندي (ت ٥٨١ هـ/١١٨٥م) وفاطمة بنت الإمام السيد أحمد الرفاعي (ت ٦٠٩ هـ/١٢١٢م) وخديجة بنت القيم البغدادية (ت ٧١٤ هـ/١٣١٤م) . وسيرد تفاصيل عنهن لاحقًا.

المطلب الثاني : دور المرأة في طلب الحديث النبوي والعمل فيه.

علم الحديث أحد العلوم الشرعية الأساسية، وعرف بأنه :"علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن" (السيوطي، ١٣١٧: ٧٦) أي هو الإدراك والمعرفة والاطلاع على القواعد والضوابط التي تكشف عن صفات وكيفية حكاية رجال الحديث الذين رووه واحدا عن واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة الكلام دقة وضبطا وترتيبا باللفظ الذي نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يتعلق بالمتن من رفع، أو وقف، أو شذوذ، أو أضطراب، أو صحة، أو قطع (الخطيب، ١٣٨٦: ٨)

وكانت نساء المسلمين في العراق والشام، يقصدن علم الحديث بعد حفظ القرآن وعلوم القرآن، ومعرفة الفقه والأحكام، لأن علم الحديث يأتي في الدرجة الثالثة بين العلوم الشرعية. حيث لم تتأخر المرأة باهتمامها عن الرجل بعلم الحديث فقد كانت تقوم برواية الحديث وتدريسه، ولم يخل عصر من العصور من وجود الروايات والمحدثات والمسندات والمدرسات ولقد كان الآباء يعتنون بأولادهم سواء كانوا ذكورًا أو إناث وأيضًا سماع الرجال على النساء حيث لم يقتصر جهد المرأة بإسماع بنات جنسها بل سماع الرجال أيضاً. وإلى جانب ذلك نجد انتساب كثير من المحدثات إلى بيوت علمية عريقة مرموقة وهذا يدل على شدة عناية العلماء بتعليم أبنائهم وبناتهم.

وأن سبب شهرة النساء في رواية الحديث وبراعتهن هو أن النساء كنّ يتميزن بخاصية خاصة بهن ألا وهي مسألة الوثاقة في رواية الحديث والسلامة من التهم والتضعيف حيث يقول الذهبي ((وما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها)) (٢٠١٧: ج٤/٦٠٤) ولعل هذا النص يعبر تمامًا عن جهود النساء في علم الحديث، لاسيما في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، بل نجد أيضاً أن ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ/١١٧٥م) المؤرخ والمحدث المشهور قد خصص جزءاً خاص بالنساء المحدثات في كتاب ((تاريخ مدينة دمشق)) مما يدل على الحيز الكبير للنساء في جهودهن العلمية لاسيما في علم الحديث.

ونلاحظ أيضاً أن عدد المحدثات والمهتمين بعلم الحديث في تلك الفترة كثير مقارنة مع باقي العلوم مثل الفقه واللغة وغيرهما حيث انصرف جل اهتمام النساء وعنايتهن إلى دراسة الحديث وفقّة أكثر من انصرافهن إلى دراسة الفقه وأن لهذا مبررات منها : ارتباط الفقه بالقضاء والمخالطة مع الرجال وكانت المرأة بمنأى عن هكذا أمور ؛ لهذا اهتمت النساء بدراسة السنة والحديث الشريف ومن خلال إحصائي للنساء المحدثات خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي نرى بروز عدد من المحدثات اللاتي ينتسب أكثرهن إلى بيوت علمية ولقد اختصن برواية كتب الحديث المعروفة المهمة إلى جانب الصحيحين ((البخاري)) و ((مسلم)) فلقد كان للمرأة دور بارز في رواية وتدريس صحيح البخاري وذلك لكثرة تداوله وأهميته حيث برزت العديد ممن سمعت أو روت صحيح البخاري منهن :

عزية بنت محمد بن عبد الملك بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي . وتكنى ((أم عمر)) وهي من اللاتي سمعن جميع صحيح البخاري وكانت قد سمعت من ابن التي (الذهبي، د.ت : ج٣/١٥) وحضرت على ابن الزبيدي جميع ((صحيح البخاري)) ولقد كان للبرزالي إجازة منها (البرزالي، ١٤٢٧: ج١/ ق١/ ٣٩٧) وفي الحقيقة لم تقدم ترجمتها

معلومات كافية توضح بما يخص متى سمعت الصحيح وفي أي مكان بالتحديد. فقد توفيت في النصف من صفر سنة (٦٧٦ هـ/المصادف ٢٣ تموز ١٢٧٧م) بالدير بسفح قاسيون ودفنت على حافة الوادي تحت الكهف بسفح قاسيون بتربة العز عبد الرحمن بن الحافظ.

وأيضًا ممن سمعت صحيح البخاري ابنة الناصح أمة الكريم ابنة الناصح عبد الرحمن بن نجم الحنبلي . وهي أيضًا ممن سمعت صحيح البخاري فقد كانت امراة جليلة سمعت بإربل صحيح البخاري وكانت شيخة ((رباط بلداق)) (الصفدي، ١٩٨٦: ج٩/٢٢١) وقد توفيت سنة (٦٧٩ هـ/١٢٨٠م).

كذلك ممن روت الصحيح هدية بنت عبد الحميد بن محمد المقدسية الصالحية .وهي ممن روت الصحيح للبخاري أيضا فقد كانت امراة صالحة روت الصحيح عن ابن الزبيدي (البرزالي، ١٤٧٢: ج٢/ق١/ ٧٧؛ الذهبي، ١٩٩٠ : ٦٣٥؛ الذهبي، ١٩٥٨: ج٢/٤٩) وقال الذهبي ((قرأت عليها نسخة أبي الجهيم والثلاثيات تقدمت روايتها)) (١٩٩٠: ٦٣٥) وتوفيت بالجبل سنة (٦٩٩ هـ/١٢٩٩م) (البرزالي، ١٤٧٢: ج٢/ ق١/ ٣٦ – ٣٧؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٦٣٥)ولعل ذكر مثل تلك التفاصيل في علوم الحديث يدل على اهتمام المؤرخين بما وصلت إليه النساء من مكانة مميزة في العلوم الدينية وجهودهن في نشر علم الحديث بشكل خاص.

فضلا عن ما سبق كانت زينب بنت سليمان بن ابراهيم بن رحمة الأسعردي . وكانت المعمرة الدمشقية نزيلة القاهرة ولقد انفردت برواية ((صحيح البخاري)) بالديار المصرية عن ابن الزبيدي سماعًا وحضورًا على الإمام شمس الدين أحمد بن عبد الواحد البخاري نسخة أبي مسهر سنة اثنتين وعشرين وستمائة حيث كانت في سن الثالثة من العمر، ولقد سمعت أيضاً من ابن اللتي وكريمة وسمع منها شمس الدين (ابن رجب، ١٩٥٣: ج٢/ ٤٦٧) وفي الحقيقة قد يكون المؤرخون قد بالغوا في هذا النص إذ أن زينب كان عمرها صغيراً ثلاث سنوات إذا لا يمكن لأحد عمره ثلاث سنوات أن يحفظ البخاري فيجوز أنها قد أخذها والدها أو أحد من أفراد عائلتها إلى أحد المجالس التي كان يدرس بها صحيح البخاري وكان هو من العادة أن يجلب الأهل أولادهم وهم صغار إلى مجالس العلم آنذاك. ولا نعرف من هي كريمة التي قد سمعت منها سواء كريمة المروزية المتوفاة (٤٦٥ هـ/١٠٧٣م) أو غيرها فلا يعقل أنها سمعت من كريمة المروزية لأنها قد توفيت قبل ولادتها ولكن في ترجمتها لم يحدد أي كريمة. وقد توفيت المعمرة زينب الأسعردي (٧٠٥ هـ/١٣٠٥م) بالقاهرة عن بضع وثمانين سنة (البرزالي، ١٤٧٣: ج٢/ق١/ ٤٣٢-٤٣٣؛ رجب، ١٩٥٣: ج٢/ ٤٦٦؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج١١/ ١٣٨)

وكذلك ست الوزراء أم عبد الله بنت القاضي شمس الدين عمر بنت القاضي شمس الدين عمر ابن العلامة شيخ الحنابلة وجيه الدين أسعد بن المنجا فقد كانت شيخة صالحة

معمرة مسندة الوقت فقد كانت محدثة عصرها كما ذكر الصفدي وغيره من المؤرخين بأنها سمعت الصحيح وروته مرات بدمشق وبمصر وقرأ عليها الشيخ شمس الدين عمر مسند الشافعي (الذهبي، ١٩٩٠: ٢٣٤ – ٢٣٥؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج١٥/ ٧٣؛ رجب، ١٩٥٣: ج٢/ ٤٦٩؛ ابن الغزي، ١٩٩٠: ج٢/ ٤٩) فقد قال ابن الغزي عنها ((آخر من روى مسند الشافعي عن ابن الزبيدي)) (١٩٩٠: ج٢/ ٤٩) ولعل ذلك ما يميزها عن غيرها من محدثات عصرها لذا عرفت بمسندة الوقت. وتوفيت أم عبدالله سنة (٧١٧ هـ/١٣١٧م) (الذهبي، ١٩٩٠: ٢٣٤ – ٢٣٥؛ ابن رجب، ١٩٥٣: ج٢/ ٤٦٩؛ الزركلي، ١٩٨٠: ج٣/ ٧٨؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج١٥/٧٣)

ويلاحظ على هؤلاء ممن رون صحيح البخاري بأن جميعهن كن من بلاد الشام فقط فلم نجد من المحدثات العراقيات من روت صحيح البخاري وهذا يدل على الأغلب يدل على أن صحيح البخاري يدرس في دار الحديث الأشرفية في دمشق أكثر من باقي المناطق الأخرى.

كذلك من سمعت وروت صحيح مسلم منهن في العراق فاطمة بنت علي بن المظفر بن زغبل البغدادي .وهي من أهل بغداد فقد كانت معمرة عاشت سبعًا وتسعين سنة (الذهبي، ٢٠٠٣:مج١١/٥٧٦؛ الذهبي، ١٩٥٨: ج٢/٤٩؛ اليافعي، د.ت:ج٣/١٩٩) وذكر اليافعي بأنها ((المقرئة المعروفة روت صحيح مسلم و (غريب) الخطابي عن الحافظ أبي الحسين الفارسي)) (د.ت:ج٣/١٩٩) ولقد روى عنها كثير من العلماء منهم السمعاني وابن عساكر والمؤيد وزينب الشعرية (الذهبي، ٢٠٠٣: مج ١١ /٥٧٦؛ الذهبي، ١٩٨٥: ج٢/ ٤٤٣). وتوفيت سنة (٥٣٢ هـ/١١٣٧م).

أما في بلاد الشام فكانت فاطمة بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي . قد سمعت وروت صحيح مسلم وكانت إلى جانب ذلك صالحة متعبدة مسندة وتوفيت سنة (٧١١ هـ/١٣١١م) (اليافعي، د.ت : ج٤/ ٨١؛ ابن العماد، ١٩٥٨: ج٦/ ٢٨)

وهنالك بعض النسوة من اختصن بكتاب معين وانفردن بروايته فاطمة بنت عبد الله الخيري الفرضي . فقد ذكرها الذهبي بأنها ((انفردت في عصرها برواية (الموفقيات) الزبير بن بكار)) (٢٠٠٣: مج١١/ ٦١٥) وهنا يقصد بغداد آنذاك في تلك الفترة. ولقد روى عنها العديد من العلماء أبرزهم الواعظ والمؤرخ ابن الجوزي (الذهبي، ٢٠٠٣: مج١١/ ١٠٤) وقد توفيت سنة (٥٣٤ هـ/١١٣٩م) (ابن الجوزي، ١٩٩٥: ج٨/ ٨٨)

أما في بلاد الشام كانت نعمة بنت علي بن يحيى بن الطراح .محدثة مشهورة حيث اختصت بكتاب الشمائل للترمذي وإلى جانب ذلك سمعت العديد من الكتب من جدها منها كتاب الكفاية للخطيب البغدادي وكتاب البخلاء وكتاب السابق واللاحق (ابن الدبيثي، ١٩٩٧:

ج١٥/ ٣٩٤؛ الـذهبي، د.ت: ج٢١/ ٤٣٤؛ الـذهبي، ٢٠٠٣: ج١٣/٩٤ - ٩٥؛ الـذهبي، ١٩٥٨: ج٣/ ١٣٧) وهي كما يذكرها المنذري من بيت الحديث حدثت هي وأبوها وجدها وجد أبيها وأخوها أبو جعفر محمد وأختيها عزيزة وجوهرة (١٩٨٤: ج٢٠/ ١٣٠) ولقد أجاز لها العديد من الشيوخ منهم محمد بن علي بن أبي دار الصالحاني وعبد الملك الخلال (الذهبي، ٢٠٠٣: ج١٣/ ٩٤ - ٩٥؛ الـذهبي، ١٩٥٨: ج٣/ ١٣٧؛ الـذهبي، د.ت: ج٢١/ ٤٣٠ - ٤٣٤) وعلى الرغم من أن نعمة من أسرة شامية إلاّ أنها درست كتب الخطيب البغدادي وهذا يدل على أهمية كتب الخطيب البغدادي في تلك الفترة على الرغم من التباعد الإقليمي بين الحواضر الإسلامية حيث أن هذا لم يمنعها من دراسة هذه الكتب. وتوفيت سنة (٦٠٤ هـ/١٢٠٧م) .

ومنهن من حدثت بعدة أماكن فقد كانت زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر

الصالحة المعمرة الرحالة فقد سمعت من ابن اللتي وجعفر الهمذاني وتفردت في وقتها وحدثت بدمشق ومصر والمدينة والقدس (الـذهبي، ١٩٩٠: ١٩٩ - ٢٠٠؛ الصـفدي، ١٩٨٦: ج١٣/١٨٣) ولا ندري هل كانت رحلتها بمفردها أو مع أولادها أو زوجها فقد كانت الرحلة مقتصرة على الرجال وأيضًا مع المحارم بالنسبة للنساء.

وأيضًا إلى جانب هؤلاء كانوا هنالك محدثات أخريات مشهورات أيضاً ففي العراق كانت جمال النساء بنت أحمد بن أبي سعيد الغراف البغدادية فلقد ذكرها الصفدي بأنها ((امراة صالحة حجت غير مرة وروت)) (١٩٨٦: ج١١/ ١٣٨) في حين قال ابن العماد بأنها ((سمعت من ابن البطي وأحمد بن الكاغدي)) (١٩٨٦: ج٧/ ٣٥٩) ولقد ذكرها اليافعي بأنها ((سمعت من غير واحد)) (د.ت: ج٤/ ٨١) ولقد أجازت للعديد وكان منهم من العلماء المشهورين أمثال الفخر إسماعيل بن عساكر وفاطمة بنت سليمان والقاضيين ابن الحوبي وتقي الدين سليمان وابن بكر بن عبد الدائم وابن سعد وابن الشحنة وجماعة (الصفدي، ١٩٨٦: ج١١/ ١٣٨). وتوفيت سنة(٦٤٠ هـ/١٢٤٢م) (الـذهبي، ١٩٥٨: ج٣/ ٢٣٨؛ الصـفدي، ١٩٨٦: ج١١/ ١٣٨؛ اليـافعي، د.ت : ج٤/ ٨١؛ العمـاد، ١٩٨٦: ج٧/ ٣٥٩؛ كحالة، ٢٠١١: ج١/٢٤٠) .

أما في بلاد الشام فكانت ملكة بنت داود بن محمد بن سعيد القرطكي. فقد كانت معمرة توفيت عن عمر مائة وأربع سنين وعدة أشهر (بدوي، ١٩٩٨: ٤٣٤؛ الذهبي، ٢٠٠٣: مج١١/ ١٠٤؛ ابن عساكر، ١٩٨٢: ٣٩٣؛ كحالة، ٢٠١١: ج٣ / ١٥٣) و كانت عالمة متصوفة سمعت من الرجال والنساء فقد سمعت بمصر من الشريف أبي إبراهيم الحسيني

ومن النساء كريمة بنت أحمد في مكة وسكنت دمشق مدة ولقد سمعت من الشريف ((سنن الشافعي)) (بدوي، ١٩٩٨: ٢٣٤؛ ابن عساكر، ١٩٨٢: ٣٩٣) ويقول ابن عساكر ((إمراة من المعجزات سمعت بمصر من الشريف ابي ابراهيم بن القاسم بن ميمون الحسيني الشافعي أجازت لي جميع أحاديثها)) (١٩٨٢: ٣٩٣) ويقول الذهبي أنها ((سمعت من الشريف أحمد بن إبراهيم في سنة اثنتين وخمسين)) (٢٠٠٣: مج١١/ ١٠٤) ومن خلال هذا نرى بأنها قد سمعت بعمر متأخر نسبيًا وهي تقارب العقد الخامس من حياتها. وتوفت سنة (٥٠٧ هـ/١١١٣م) .

ولقد كانت أيضاً فاطمة ابنة الشيخ الإمام المقرئ .المحدث جمال الدين سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد بن أبي القاسم الأنصاري (الذهبي، ١٩٩٠: ٤٢٨؛ العاملي، ١٣١٢: ٣٦٨؛ اليافعي، د.ت: ج٤/ ١٨٣) من النساء العالمات العاقلات المحدثات الصادقات في الرواية وأخذت الحديث عن والدها وعن أجلاء عصرها ولقد سمعت من العديد من الرجال والنساء منهن كريمة وابن رواحة وكانت معمرة ولم تتزوج أجازها معظم علماء القرن السابع من الشام والحجاز وفارس وغيرها منهم الفتح بن عبد السلام وأبو هريرة بن الوسطاني (الذهبي، ١٩٩٠: ٤٢٨؛ العاملي، ١٣١٢: ٣٦٧) ولقد أخذ عنها الحديث جملة مثل الصفدي وغيره (العاملي، ١٣١٢: ٣٦٧) ولقد كانت من عائلة علمية حديثية فقد كان والدها محدث ومن الطبيعي أنه قام بإسماعها الحديث وهي صغيرة. وتوفيت سنة (٧٠٨ هـ/١٣٠٨م) (الذهبي، ١٩٩٠: ٤٢٨؛ العاملي، ١٣١٢: ٣٦٧؛ اليافعي، د.ت: ج٤/ ١٨٣)

ومن المحدثات من كنّ من بنات المؤرخين مثل فاطمة بنت علي بن القاسم بن عساكر الدمشقية (البرزالي، ١٤٢٧: ج١/ق٢/ ٥٠؛ الذهبي، ١٩٩٠: ٤٣٢؛ الذهبي، ١٩٥٨: ج٣/ ٣٥٣؛ الذهبي، د.ت: ج١٧/ ٢٦٦) فلقد كانت محدثة وشيخة جليلة معمرة سمعت من حنبل وابن طبرزد ومن ست الكتبة بن الطراح (البرزالي، ١٤٢٧: ج١/ق٢/ ٥٠؛ الذهبي، ١٨٨-١٩٩٠:١٨٩؛ الذهبي، ١٩٥٨:ج٣/٣٥٣؛ الذهبي، د.ت:ج١٧/٢٦٦)ولقد أجازها العديد منهم أبو جعفر الصيدلاني ولقد أعطت هي إجازات أيضاً (ابن العماد، ١٩٥٨:ج٧/٦٣٢) لكن في نصوص ترجمتها لدى المؤرخين لم يحددوا لنا أسماء من أعطتهم إجازة. ولقد ذكر الذهبي بأنه ((حدث عنها الدمياطي وابن الخباز وابن العطار والمزي وغيرهم)) (١٩٥٨:ج٣/٣٥٣) ولقد سمع عليها العديد من الكتب منها أربعة مجالس من أمالي أبي منصور محمد بسماعها من الحصري وجزءً من ((الغيلانيات)) و ((الغرائب العوالي)) للدارقطني. وتوفيت سنة (٦٨٣ هـ/١٢٨٤م) (البرزالي، ١٤٢٧: ج١/ق٢/ ٥٠؛ الذهبي، ١٨٨-١٩٩٠:١٨٩؛ كحالة، ٢٠١١:ج١/٣٦٩).

ومن النساء من امتزن بالشمولية والشهرة مثل شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبري (ابن الجوزي، ١٩٩٥:ج٨/٢٨٨؛ الحموي، ١٩٩٣:ج٣/١٤٢٢-١٤٢٣؛ ابن خلكان، ١٩٩٨:ج٢/٣٩٥) فقد كانت محدثة وعالمة وكاتبة وكانت مسندة العراق وكما قال ابن خلكان ((كان لها السماع العالي، وألحقت فيه الأصاغر بالأكابر)) (١٩٩٨:ج٢/٣٩٥) فقد سمعت الحديث من أبي الفوارس طراد الزيننبي وابن طلحة النعالي وغيرهم جماعة (ابن الجوزي، ٢٠١٣:ج٨/٢٨٨؛ ابن الدبيثي، ١٩٩٧:ج١٥/٣٩٥) وذكرها ابن الجوزي في ترجمة والدها بأنها ((آخر من حدث عنه وقرأت عليه كتابه المسمى بمصارع العشاق بحق سماعها منه)) (٢٠١٣:ج٨/٢٨٨) ولقد روى عنها ابن الجوزي كتاب ((التصديق بالنظر إلى الله عز وجل وما أعد لأوليائه)) لمحمد الآجري (ابن خلكان، ١٩٩٨:ج٢/٣٩٥؛ ابن الدبيثي، ١٩٩٧:ج١٥/٣٩٥) .

وتوفيت سنة (٥٧٤ هـ/١١٧٨م) .

وإلى جانب هؤلاء هنالك الكثير من المحدثات اللاتي اهتممن بعلم الحديث لا مجال لذكرهن وتفاصيل أماكن تعلمهن.

المطلب الثالث : دور المرأة في تعلم الفقه والأفتاء فيه .

الفقه في اللغة، معناه: الفهم يقال فقه يفقه: أي فهم يفهم قال تعالى((فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلقَومِ لَا يَكَادُونَ يَفقَهُونَ حَدِيثا)) (القران الكريم، سورة النساء، ج٧٨:٤) أي لا يفهمون وقال تعالى ((وَلَٰكِن لَّا تَفقَهُونَ تَسبِيحَهُم)) (القران الكريم، سورة الاسراء، ج٤٤:١٥) أي لا يفهمون تسبيحهم وقال رسول الله (صلى) ((إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه)) أي علاقة بالفقه (ابو الحسن مسلم، ٨٦٩:١٣٣٠).

الفقه في الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية، أي هو معرفة الأحكام التي تتوقف على مصدر شرعي، وتقتضي من المكلف: البالغ العاقل، القيام بعمل وسلوك وتصرف في الحياة، بهدف تنظيم حياة الإنسان مع نفسه، ومع ربه، ومع مجتمعه، بما يحقق السعادة والراحة في الدنيا والآخرة، كوجوب الصلاة وأدائها، أو الامتناع عن فعل مؤذ وضار ومفسد، كتحريم القتل والزنا وشرب الخمر وأكل مال الناس بالباطل والغش والأيذاء والنميمة والكذب، أو التخيير بين الفعل والترك، كإباحة الأكل والصيد والشرب، على أن تكون هذه المعرفة مستنبطة ومستعدة بالنظر والاجتهاد والبحث من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة وبقية المصادر الشرعية، ويكون الفقيه مجتهدا في هذه الحالة، أما المقلد لغيره أو الحافظ لأحكام الفقه واستنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال المكلفين

وأقوالهم وعلى هذا نقول درست الفقه وتعلمته: أي أنك درست الأحكام الفقهية الشرعية الموجودة في كتب الفقه (الخن، ١٩٩٢:ج١/٧-٨).

وكانت نساء المسلمين في العراق والشام، يقصدن بعد حفظ القرآن وعلوم القرآن، معرفة الفقه والأحكام، لأن علم الفقه يأتي في الدرجة الثانية بين العلوم الشرعية ولقد ظهر لدينا في العراق والشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني والثالث عشر الميلادي بعض النساء ممن اشتهرن بالفقه وتدريسه مما يندر وجود أمثالهن إذ توسعن في فهم الفقه واستيعابه ولقد ضربن الأمثال في فهم الدين والتفقه فيه. فقد كان بعضهن يقمن باستنباط الأحكام ويتصدرن الإفتاء والتدريس ويقرؤون عليهن الرجال والنساء وكان يرحل إليهن طلاب العلم ليستجيزوا منهن.

وعلى الرغم من ذلك يذكر محمد خير رمضان (عن إغفال كتب التراجم سير الفقيهات العالمات عن النساء المسلمات) (١٤١٤:١٥) ويرجح سبب ذلك إلى أن مبنى النساء على التستر والتعفف إلاّ أن تكون الواحدة في عقر دارها مستعينة بعلماء بيتها كالزوج والعم والأب والجد والخال (يوسف، ١٤١٤:١٥).

ورغم ما سبق نلاحظ تكرار أسماء بعض النسوة قد جاء ذكرها في علم القرآن الكريم أو الحديث وأنه غلب على أكثر النساء الجمع بين الفقه وباقي العلوم، وأيضًا أحيانًا تكون ترجمة بعض هؤلاء النسوة مقتصرة على أنها كانت فقيهة أو درست الفقه دون تفاصيل عن المواد التي أفادت منها أو المذهب الذي سارت عليه ومن هؤلاء النسوة اللاتي اشتهرن بالفقه ففي العراق برزت فاطمة بنت الإمام السيد أحمد الرفاعي المتوفاة (٦٠٩ هـ/١٢١٢م) ودفنت بالمشهد الأحمدي فقد كانت إلى جانب معرفتها بالفقه صالحة عابدة قانتة (بدوي، ١٩٩٨: ١٨٩؛ العاملي، ١٣١٢: ٣٦٨). وفي الحقيقة نرى بأن فاطمة هذه لم تذكرها باقي المصادر ولم يشر العاملي إلى المصادر التي أخذ منها معلوماته عن هذه الترجمة وكذلك لم تتوفر لدينا معلومات وتفاصيل عن حياتها أو عن أي شيء عن الجوانب الفقهية التي تعرضت لها.

في حين كانت أم زينب فاطمة بنت عياش البغدادية المتوفاة (٧١٤ هـ/١٣١٤م) عن نيف وثمانين سنة بمصر ((ولقد شيعها خلائق)) فقد كانت من العاقلات الفاضلات الفقيهات ولقد انتفع بها خلق من النساء في دمشق ومصر وكانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتستفيد منه ومن غيره وكان ابن تيمية يتعجب من حرصها وذكائها وكان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن أسئلتها وسرعة فهمها (ابن رجب، ١٩٥٣: ج٢/ ٤٦٧؛ العاملي، ١٣١٢: ٣٦٧؛ ابن كثير، ٢٠٠٥: ج١٤/٧٤؛ كحالة، ٢٠١١:ج١/٣٦٩؛ اليافعي، د.ت:ج٤/١٩١).

ويذكر محمد خير يوسف في كتابه ((فقيهات عالمات)) أن البغدادية لم تكن مثل باقي الفقيهات العالمات بل كانت مميزة عنهن بمعرفتها المتقنة لعلوم الفقه فقد كانت تغوص في تفاصيل المسائل حتى تتوصل إلى جواب مقنع (١٤١٤:١٠).

أما في بلاد الشام فظهر لدينا فاطمة الفقيهة ابنة علاء الدين بن أحمد السمرقندي العالمة الجليلة فقد كانت من الفقيهات العالمات بعلم الفقه والحديث أخذ عنها جملة من الفقهاء وكانت تعقد جلسات للتدريس في دمشق وألفت العديد من المؤلفات التي مع الأسف لم تصل إلينا في الفقه والحديث. وكان الملك العادل نور الدين محمود يستشيرها في بعض الأمور الدولة الداخلية ويسألها عن بعض المسائل الفقهية، أما زوجها فقد كان علاء الدين الكاساني العلامة الكبير صاحب كتاب البدائع فربما هام في الفتيا فترده إلى الصواب وتعرفه وجه الخطأ وكان يحترم فتواها وكانت الفتوى تخرج وعليها توقيعها وتوقيع أبيها وزوجها فلما مات أبوها كانت تخرج وعليها توقيعها هي وزوجها وتوفيت سنة (٥٨١ هـ/١١٨٥م) (العاملي، ١٣١٢: ٣٦٧).

لقد أولت الدولة الزنكية في تلك الفترة اهتمامًا كبيرًا بالعلم والعلماء وتشجيع التعليم ومن أبرز الحكام الزنكيين اهتمامًا بهذا الجانب الملك العادل نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي الذي حكم من (٥٤٠ هـ/١١٤٦م – ٥٦٩ هـ/١١٧٣م) فلقد كان يقدر العلماء ويحضر مجالسهم ودروسهم .

ولقد اهتمت المرأة المسلمة بالدراسات الشرعية آنذاك حيث بلغ كثير من النساء بهذا العلم درجة عالية ونافسن كبار الحفاظ والمحدثين ولقد أشارت كتب التراجم والطبقات إلى النشاط العلمي الملموس لهذه الفئة في العهد الزنكي فضلاً عن العهد الأيوبي ومن بعده المملوكي .

ولقد اهتم الملك العادل نور الدين محمود زنكي بالشورى فلقد اعتمدها نور الدين حيث لم ينفرد باتخاذ القرارات بل تبادل الآراء في كل أمور الدولة فكان له مجلس فقهاء يتألف من ممثلي سائر المذاهب والصوفية يبحث في أمور الإدارة والنوازل والميزانية .

ويشير أحد الباحثين في كتابه (الحياة العلمية في العهد الزنكي) الدليل على المشاورات التي حصلت في عهد الزنكي وأيضًا على دور النساء آنذاك في التعليم فيقول ((وممن اشتهر من النساء بالتدريس في هذا العهد : العالمة فاطمة الفقيهة المعاصرة للملك العادل نور الدين محمود، فقد تصدرت للتدريس في حلب وألفت المؤلفات العديدة في الفقه والحديث، كما استشارها نور الدين في بعض أموره، واستفتاها في بعض المسائل الفقهية وكان دائماً يبذل لها ويعينها على مواصلة نشاطها العلمي، وما حدث بين الملك نور الدين والعالمة فاطمة الفقيهة يؤكد حرص المرأة المسلمة في ذلك العهد على الالتزام التام بالحجاب الإسلامي

حيث أن المحادثات بينهما كانت تتم بواسطة امراة تتدب لهذا الأمر وفي هذا الصدد يورد القرشي مفاده : إن علاء الدين الكاساني زوج العالمة فاطمة الفقيهة عزم الرحيل من حلب إلى بلاده بإيعاز من زوجته فاطمة، فاستدعى الملك نور الدين الإمام علاء الدين الكاساني، وسأله أن يقيم في حلب، فعرفه علاء الدين دواعي سفره وأنه لا يمكن أن يخالف زوجته ابنة شيخه، فأرسل الملك إلى زوجته فاطمة خادمًا يخاطبها عن الملك في ذلك، فلم تأذن للخادم واحتجبت منه وأرسلت إلى زوجها من يقول له: بعد عهدك بالفقه إلى هذا الحد؟ أما تعلم أنه لا يحل أن ينظر إلى هذا الخادم، وأي فرق بينه وبين الرجال في عدم النظر، فعاد الخادم، وذكر ذلك لزوجها بحضرة الملك، فأرسلوا إليها امراة برسالة الملك فخاطبتها وأجابته إلى ذلك وأقامت بحلب إلى أن توفيت وتوفي زوجها الكاساني بعدها سنة (٥٨٧ هـ/١١٩١م) ودفنت بحلب)) (١٧٧:٢٠٠٣).

وكانت أيضاً ممن اشتهرن بالفقه خديجة بنت علي بن عبد العزيز الدمشقية من الحافظات المتفقهات في الدين فقد كانت تشتغل بالفقه وتوفيت سنة (٦٤١ هـ/١٢٤٣م) (الصفدي، ١٩٨٦: ج١٣/١٨٣؛ كحالة، ٢٠١١: ج١/٢٤٠).

بالإضافة إلى هؤلاء كانت خديجة بنت القيم البغدادية التي سبق ذكرها متفقهة في الدين فضلاً عن أنها قرأت أكثر من مقدمة في النحو وفق ما أشار إليه المؤرخون وجودة الخط على جماعة وتوفيت سنة (٦٩٩ هـ/١٢٩٩م) (البرزالي، ١٤٧٢: ج٢/ق١/ ٧٧؛ الذهبي، ١٨٨-١٩٩٠:١٨٩؛ الذهبي، ١٩٥٨:ج٣/٣٩٨؛ الصفدي، ١٩٨٦: ج٣:١٨٢) .

وكانت أيضاً زينب بنت أبي البركات البغدادية من واعظات القرن السادس الهجري فقد درست الفقه إلى جانب النحو أيضاً ولقد كانت تعظ في رباط البغدادية (كحالة، ٢٠١١:ج١/٣٦٩).

وكذلك من اللاتي جمعن بين الفقه والنحو أيضاً خديجة بنت إبراهيم الرقي فقد فقهت شيئًا من الفقه والنحو وانتخبت لنفسها أشياء من الرقائق والمواعظ وهي كانت ابنة الشيخ الزاهد إبراهيم بن أحمد بن محمد الرقي توفيت سنة (٦٩٥ هـ/١٢٩٥م) دفنت بسفح قاسيون (البرزالي، ١٤٧٣: ج٢/ق١/ ٤٣٢-٤٣٣) ومن خلال ترجمة هؤلاء بصورة عامة نرى بأنها لم توضح لنا أي نوع من المسائل التي فقهت به هؤلاء النسوة أو على أي مذهب واقتصر كلام على أنها فقيهة فقط أو تشتغل بالفقه وهذا ما جاءت به المصادر في ذكرهن لكن بالمقابل نجد أن بعض الفقيهات قد برعن في النحو مما يدل على الترابط بين علوم اللغة والفقه وأن من أهم وسائل الفقيه هو معرفته باللغة والنحو.

ولعل الأمر المهم الآخر هو أن أولئك النساء رغم براعتهن في الفقه إلى جانب العلوم الأخرى إلاّ أننا لم نجد لهن مؤلفات مما يشير إلى أن المسائل الفقهية التي يتعرض لها

كانت تأخذ الطابع الشفهي في التداول أكثر من كونها تحرر وتكتب ويتم تداولها تحريريًا. ويبدو أن هذا النمط من التداول في المجال الفقهي هو السائد للرجال والنساء وأن الفقهاء الذين يتم تداول فقههم ومسائلهم بشكل تحريري هم فقهاء امتازوا بعصرهم عن غيرهم وهم قلة قياسًا مع مجموع فقهاء القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي.

الخاتمة

لقد حاولت من خلال بحثي هذا أن ابين مكانة المرأة في العلوم الشرعية في (العراق والشام) أنموذجا للقرنيين السادس والسابع الهجريين من خلال تتبع جهودهن العلمية في تلك الفترة وقد توصلت عدة نتائج منها:

١-بروز دور المرأة بالدرجة الأولى في تناول العلوم الشرعية في مجال التعلم والتعليم، من خلال (القرآن العظيم، الحديث، الفقه) .

٢- نرى من خلال بحثنا أن بعض النساء قد أشتهرت بأكثر من علم قد تكون قارئة للقرآن وفقيه وفي نفس الوقت محدثة أيضا.

٣-هناك الكثير من العلماء لديهم إجازات علمية من النساء وخاصة في مجال الحديث وهذا دلالة على مكانة المرأة في العلم والتعلم الشرعي.

٤- نجد أن المرأة كان لها حظ كبير في مجال الحديث، وأما في مجال الفقه فقد كن قلائل لما به من ضوابط وشروط .

٥- ويلاحظ من خلال البحث أنه لايوجد نشاط للمرأة في الموصل وحلب ولعل السبب أن كتب التراجم ركزت على الحواضر المهمة مثل بغداد ودمشق .

ثبت المصادر

أولا: المصادر الاولية

- البرزالي ، علم الدين ابي القاسم بن محمد يوسف الاشبيلي الدمشقي،(١٣٢٧هـ)، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي،ط١، المكتبة العصرية، بيروت .
- الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله البغدادي الرومي،(١٩٩٣)،دار صادر، بيروت.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي،(١٩٩٥م)،المنتظم في تاريخ الملوك والامم، د.م.
- ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر،(١٩٩٨م)،وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الدبيثي، محمد بن ابي المعالي سعيد بن ابي طالب بن ابي الحسن علي ابن الحجاج،(١٩٩٧م)،مختصر تاريخ ابن الدبيثي،ط١،دار الكتب العلمية، لبنان .
- الذهبي ،ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(٢٠٠٣م)،تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام،ط١،دار الغرب الاسلامي، بيروت.
- الذهبي ،ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(١٩٩٣م)،سير اعلام النبلاء،ط٩، مؤسسة الرسالة.
- الذهبي ،ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(١٩٨٥م)،العبر في خبر من عبر،ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت .
- الذهبي ،ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(١٩٩٥م)،معجم الشيوخ،ط١، دار الكتب العلمية، لبنان .
- الذهبي ،ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(٢٠١٧م)،ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، بيروت.
- ابن رجب، ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين محمد البغدادي،(١٩٥٣م)،ذيل على طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- الز حيلي، محمد،(١٤٢٠هـ)،الامام الطبري، دار القلم.
- سبط ابن الجوزي، ابو المظفر يوسف بن عبدالله، (٢٠١٣م)، مرأة الزمان في تواريخ الاعيان،ط١،الرسالة العلمية، دمشق .
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن،(١٣١٧هـ)، النقاية شرح اتمام الدراية، المطبعة الادبية.

- ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان،(٢٠٠٢م)،تراجم رجال القرنيين السادس والسابع معروف بالذيل على الروضتين،ط١،دار الكتب العلمية، بيروت .
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك،(د.ت)، الوافي بالوفيات، دار الاحياء للتراث الاسلامي، بيروت.
- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله،(١٩٨٢م)،تاريخ مدينة دمشق،ط١،دار الفكر، دمشق.
- ابن العماد، عبد الحي بن احمد بن محمد،(١٩٨٦م)،شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار ابن كثير.
- ابن الغزي، محمد عبد الرحمن بن الفخر شمس الدين ابو المعالي،(١٩٩٠م)، ديوان الاسلام وبحاشية اسماء كتب الاعلام، دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، ابي الفداء الحافظ الدمشقي،(٢٠٠٥م)،البداية والنهاية،ط٢،دار الكتب العلمية، بيروت .
- المنذري، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم عبد القوي،(١٩٨٤م)،التكملة لوفيات النقلة،ط٣،بيروت.
- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي،(١٩٩٠م)،الدارس في تاريخ المدارس،ط١،دار الكتب العلمية، لبنان.
- اليافعي، ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان،(د.ت)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية،د.م.

ثانياً: المراجع الثانوية العربية

- البدوي، خليل،(١٩٩٨م)،موسوعة شهيرات النساء،ط١،دار اسامة، عمان.
- حاجي، مصطفى بن عبدالله خليفة،(١٣٥١هـ)،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، اسطنبول.
- الخطيب، محمد عجاج،(١٣٨٦هـ)،اصول الحديث وعلومه، دار الفكر.
- الخن، مصطفى،(١٩٩٢م)،الفقه المنهجي على مذهب الامام الشافعي،ط٤،دار القلم، دمشق.
- الزركلي، خير الدين،(١٩٨٠م)،الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين،ط٥،دار العلم للملايين، بيروت.

- عبد الهادي، محمد جميل،(١٩٦٢)،المرأة في حضارات العرب،ط١،دار النشر للجامعيين.
- العاملي، زينب بنت يوسف،(١٣١٢هـ)،الدر المنثور في طبقات ربات الخدور،ط١، المطبعة الكبرى الاميريى، مصر.
- كحالة، عمر رضا،(٢٠١١م)،اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام،ط١،موسسة الرسالة، دمشق.
- المزيني، ابراهيم بن محمد،(٢٠٠٣م)،الحياة العلمية في العهد الزنكي، الرياض.
- يوسف، محمد خير،(١٤١٣هـ)، قارئات حافظات، دار ابن خزيمة، الرياض.
- يوسف، محمد خير،(١٤١٤م)،فقيهات عالمات، دار طويق، د.م.

ثالثاً: الكتب والأطاريح الجامعية

- العزايزة، وجدان حسن،(٢٠٠٤م)، المرأة في العصر العباسي (٤٤٧هـ-٦٥٦هـ / ١٠٥٥م-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك.

First: References

❖ AL-Barzali ,ALamuddin Abi ALqassimbin Mohammed yousif AL-Ashbili AL-Dimashqi, (1427A-H),AL-Muqtafi on the book of AL-Rawdhatain Knownas theHistory of AL-Barzali,First edition,ALmakta alhaditha,Beirut.

❖ Al-Hamawi,Shihabuddin Abu Abdullah Al-Baghdadi Al-Roomi,(1993), muejam albuldan,Dar sadir, Beirut.

❖ Ibn al- jawzi,Abu Al-Faraj Abdulrahman bin Ali,(1995), almuntazim fi tarikh almuluk walamam,D-M.

❖ lbn Khalkan,Shams aldin Ahmed bin Mohammed bin AbiBakr,(1998)wafayat Al -Aeyan wa Anba Abnauzzaman, First edition,Dar ul-Kutub il-lllmiyya,Beirut.

❖ lbn Al-Dubaithi,Mohammed bin Abilmaali Saeed bin Abitalib bin Abilhasan Ali bin lhajjaj(1997),Mukhtasar Tarikh lbn aldubaithi,First edition,Dar ulkutub iLllmiyya، Lebanon.

❖ Al-Dhahabi,Abu abdallh Shams Uddin Mohammed bin Ah med bin Uthman,(2003) , Tarikhul Islamwa fayyat ul-mashaher walAlam,First edition,Dar ulgharb ilIslami، Beirut.

❖ Al-Dhahabi,Abu Abullah Samsuddin mohammed bin Ahmed bin Uthman,(1993),SierAlam unnubalb ,Nineth edition , Mu'assasat urrisala .

❖ Al-Dhahabi,Abu Abullah Samsuddin mohammed bin Ahmed bin Uthman,(1985),AL-Ibar fi khabar mun Abar,First edition,Dar ulkutub il-Illmiyya,Beirut.

❖ Al-Dhahabi,Abu Abullah Samsuddin mohammed bin Ahmed bin Uthman,(1995),Mujam ulShuyookh,First edition,Dar ulkutub il-Illmi yya,Beirut.

❖ Al-Dhahabi,Abu Abullah Samsuddin mohammed bin Ahmed bin Uthman,(2017) ,Mizan ul-Itidal fi Naqdurrijal,Dar ul-maarifa,Beirut.

❖ Ibn Rijab,Abilfaraj Abdurrahman binShihabuddin mohammed ul-Baghdadi,(1953),Dhail ala Tabaqatul Hanabila,Al-sunna al-mohammdia press, Cairo.

❖ AL-Zuheili,mohammed,(1420A-H),Al-Imaamu Tlabari,Dar ulqalam.

❖ Sabt Ibn Al-jawzi,AbuAl-modhafar yousif bin Abdullah(2013),Mi raatuzzaman fi Tawareekh ul Aljamn,First edition,Alrisaia ul Illmiyya,Damascus.

❖ Al-Saiyooti,jallaluddin Ubdurrahman,(1317),Al-niqaya Sharih Itmam ul-Diraya,AlAdabiya press.

❖ Abu Shama,shihabuddin Abdurrahman bin Ismaeel bin Ibraheem bin Uthman,(2002),Akbarul Dawlatein Al-Nooriya wal Salahiya,First edition,Dar ulkutub il- illmiyya,Beirut.

❖ Abu Shama,shihabuddin Abdurrahman bin Ismaeel bin Ibraheem bin Uthman,(2002),Tarajim Rijal Al-Qarnein Alsadis wai sabi maroof bi ltheil Al a Arrawdhatain, First edition,Dar ulkutub il-llmiyya,Beirut.

❖ Al-Safadi,salahuddin Khaleel bin Aebak , (D.T), Alwafib il wafiyat,Dar ulIhya AL-Islami,Beirut.

❖ Ibn Assakr,Abul Qassim Ali bin Al-Hassan binHibatallah(1982) ,Tarikh maddinat Dimashq,First edition,Dar ul-Fikkr,Damascus.

❖ Ibn Al-Imad,Abdulhai bin Ahmed bin mohammed,(1986),Shadaratu Thahab fi Akhbar un Thahab,Dar ibin katheer.

❖ Ibn AL-khazzi, mohammed Abdurrahman bin Al-fakhr Shomsuddin Abu Almaali,(1990),Diwan ul-Islam wa bi Hashiat Asma Kutub ul-Alam,Dar ul-kutub il-llmiyya.

❖ Ibn katheer,Abinidda' Alhafdh Al-Dimashqi,(2005),Al-Bidaya wal Nihaya ,Seconed edition,Dar ulkutub il-llmiyya,Beirut.

❖ Al-munthiri,Zakiddin Abu mohammed Abdulatheem Abdulqawi,(1984),Altakmila liwafiyat ul Naqla, Third edition,Beirut.

❖ Al-Nuaimi,Abdul qadir bin mohammed Al-Dimashqi,(1990),Al-Daris fi Tarikh al- madaris,First edition, Dar ulkutubil -Illmiyya، Lebanon.

❖ Al-yafii,Abi mohammed bdullah bin Assad binAli bin Suleiman ,(D.T),Miraatul jinan wa bratul yaqthan fi marifat ma yutabar min Hawadith Zzaman,dar ulkutub il-llmiyya,D.M.

Second: References

❖ Al-Badawi,Khaleel,(19 98), mawsooat Shahirath Nnisa,First edition,Dar Usama,Amman.

❖ Haji,Mustafa bin Abdullah Khalifa,(1351AH),Kashfu Dhunoon An Asami Ikutub wal funoon,Istabul.

❖ Al-khateeb,mohammed Ajjaj,(1386AH), Usool Al-Hadeeth wa Uloomaho,Dar Al-fikr.

❖ Al Khan,Mustafa,(1992),Alfiqh ul manhaji ala mathhab ul- Immam ul shafii,fourth edition,Damasass.

❖ Al-Zarkali,Khairuddin,(1980),Al-Ilam Qamus Tarajim liashharil Rijal wa Nnisa min al Arab wal mustaribeen wal mustashiqeen,Fifth edition ,Dar ul-Ilim lilmaldeen.

❖ Al-Amili, Zainab bint yousif,(1312AH),Al-Dar ul manshur fi Tabaqat Rabat ul khudoor,First edition,Grand Emiri press , Egypt.

❖ Kahala,umar Ridha ,(2011),I'lamu nissa'fia'lami al-arab wal islam,first edition, Al-Risala Establishment,Damascus.

❖ Al- Mazini,Ibraheem bin mohammed ,(2003),Al-Hayat ui Illmiyya fi Ahdil zanki,Al-Riydh.

❖ Yousif,mohammed khair,(1413),Qariatun Hafidhat, Dar abn khuzayma, alriyad.

❖ Yousif,mohammed khair,(1414),Faqihatun Aalimat,Dar Twaik,D.M.

❖ Abdulhadi,mohammed Jameel,(1962),Al-mar'a fi Hadhart ul arab,First edition, Dar ul Nash lilJamieen.

Third: Theses

❖ Al-Azaza, Wijdan Hasan,(2004),Al-mar'a fi lasr il Abbasi(447-656/1055-1258A.D), M.A thesis,college of Arts,Al-yarmook university.